بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي
فلم تقتلني وما لك لا تعاقب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب
في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله لا يقبل
طاعة الا من مومن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله
انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله
يقول انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي
واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه
واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قال مجاهد وغيره
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي فان
قلت كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي
على الاتساع في الكلام كما تقول قرات قراءة فلان وكتبت كتابة يريد المثل وهو
اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم
المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه
ومثل اثم صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه
لانه مكافي دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج
من حد المكافاة واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم
وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله
فيجتمع عليه الاثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال
اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي وباثمك
الذي من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه
وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى
الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله تعالى جاز ان يريده العبد
لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق
العقاب فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو
قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف
الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله
فاصبح من الخاسرين فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته من طاع
له المرتع اذا اتسع وقراءة الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل
بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته
ولم تمتنع وله زيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين
سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال
يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين

فبعث الله

فبعث الله غرابا روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني ادم ولما قتله
تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره
سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله تعالى غرابين فاقتتلا فقتل
احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتي اعجزت
وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله ادم عليه السلام
عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي
ان ادم عليه السلام مكث بعد قتله سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب
بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر
ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد
تعليمه على سبيل المجاز سوءة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من
جسده والسوءة الفضيحة لقبحها قال يا لقومي للسوءة السوآء اي
للفضيحة العظيمة فكني بها عنها فاواري بالنصب على جواب الاستفهام
وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف
من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من
عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين
من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او
فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس
جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض
لمسرفون من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا
اذا جناه ياجله اجلا ومنه قول خوات بن جبير
وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا آجله
كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل
عليه قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى
القتل المذكور اي من ان جنى ذلك القتل الكتب وجره كتبنا على بني اسرائيل
ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب ونشاه من اجل ذلك ويقال فعلت كذا
لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله
قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها
عليها وقراءة ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر
النون ملقيا كسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص
او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل
قطع الطريق ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او
غرق او حرق او هدم او غير ذلك فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل
حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الاخر من الكرامة على الله
وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس
فلا فرق اذا بين الواحد والجميع في ذلك فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)